مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
Eissn :2600-643x Issn : 2353-0529
المجلد 14 / العدد: 02 (2026)، ص: 06-17

المقاربات السوسيو-فلسفية لمفهوم للحياة اليومية: دراسة تحليلية في الأطر النظرية والمنهجية

Socio-philosophical approaches to the concept of everyday life: an analytical study in theoretical and methodological frameworks

د. ميلودي عادل[1]،

[1] جامعة النعامة (الجزائر)، Miloudi.adel@cuniv-naama.dz

تاريخ الاستلام: 2026/03/01 تاريخ القبول: 2026/04/16 تاريخ النشر: 2026/06/08

ملخص:

يحلل المقال تطور مفهوم "الحياة اليومية" من ممارسات روتينية إلى مجال سوسيو-فلسفي جوهري لفهم آليات الهيمنة، المقاومة، وإنتاج المعنى. يبرز المقال مقاربات نظرية متعددة، منها المقاربة النقدية لماركسية ، التفاعلية الرمزية وإسهامات غوفمان، وفينومينولوجيا وصولا إلى التقاطع المعرفي الذي قدمه شوتز ، و أخيرا التيار الاثنوميثودلوجي ، حيث كل هذه التيارات السوسيو-فلسفية دعت لاستخدام منهجيات ميكرو-سوسيولوجية وإثنوغرافية لدراسة التفاصيل المعيشة كفضاء للصراع بين التنظيم الهيكلي والعفوية الفردية.

كلمات مفتاحية: الحياة اليومية، الميكروسيولوجية، المعيش اليومي ، نقد الماركسية ، التفاعلية الرمزية ، الفينومينولوجيا، الاثنوميثودولوجيا.

Abstract:

This article analyzes the evolution of the concept of "everyday life" from routine practices to a crucial socio-philosophical field for understanding the mechanisms of domination, resistance, and meaning-making. It highlights several theoretical approaches, including critical Marxism, symbolic interactionism and Goffman's contributions, phenomenology, Schutz's intersectional epistemology, and finally, ethnomethodology. All these socio-philosophical currents advocate for the use of micro-sociological and ethnographic methodologies to study lived experience as a space of conflict between structural organization and individual spontaneity.

Keywords: Daily life, micro-sociology, everyday living, critique of Marxism, symbolic interactionism, phenomenology, ethnomethodology.

***المؤلف المرسل:** ميلودي عادل

1. مقدمة

يُمثل مفهوم "الحياة اليومية" في الفكر المعاصر تلك المساحة الملتبسة التي تندمج فيها التفاصيل الهامشية بالبنى الكلية للمجتمع؛ فبعد أن ظلّت لقرون مجرد "خلفية" مهملة في الدراسات الكبرى، أصبحت اليوم تمثل المركز الحيوي لفهم التفاعل الإنساني. إن البحث في المقاربات السوسيو-فلسفية للحياة اليومية لا يستهدف رصد العادات العابرة فحسب، بل يسعى إلى كشف الآليات التي من خلالها يُنتج الأفراد معانيهم الخاصة ويقاومون بها ضغوط

المؤسسات والأنظمة الكبرى. حيث تظل "الحياة اليومية" لفترة طويلة في تاريخ الفكر الإنساني بمثابة "اللامفكر فيه" أو الهامش المهمل أمام ضخامة الأنساق الفلسفية الكبرى والتعميمات السوسيولوجية البنيوية. فبينما انشغلت الفلسفة الكلاسيكية بـ "الماهيات" و"الميتافيزيقا"، وانصرفت السوسيولوجيا التقليدية إلى دراسة "المؤسسات" و"الطبقات" و"الدولة"، بقيت التفاصيل الصغيرة، الروتين المكرر، وطقوس العبور العادية في الشارع والمقهى والبيت، تُعتبر مجرد خلفية بديهية لا تستحق العناء العلمي.

إن الغاية من هذا الموضوع الوقوف أمام التوتر القائم بين التفسير الفلسفي الذي يبحث في "ماهية المعيش" وسؤال الوجود، وبين التحليل السوسيولوجي الذي ينكبّ على دراسة "بنية اليومي" بوصفه نتاجاً لشبكة من العلاقات والقوى الاجتماعية. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى دراسة تحليلية تجمع بين الأطر النظرية وبين الأدوات المنهجية الكفيلة بتفكيك هذا المشهد المعقد.

تكمن أهمية هذا المقال في كونه يسعى لتقديم مقاربة نقدية تتجاوز الوصف السطحي للظواهر، لتغوص في التقاطعات السوسيو-فلسفية التي أسست لهذا الحقل. فمنذ الانعطاف الفينومينولوجي مع "ألفريد شوتز" التي أعادت الاعتبار لـ "عالم الحياة"، وصولاً إلى الأطروحات النقدية و التفاعلية و الاثنوميثودولوجية ، نجد أن اليومي هو الفضاء الذي تتصارع فيه قوى الهيمنة والمؤسسات مع تكتيكات المقاومة والابتكار الفردي.

تأتي هذه الدراسة لتبحث في التقاطعات المعرفية بين الفلسفة وعلم الاجتماع في قراءتهما للحياة اليومية. إننا لا نسعى هنا لتقديم جرد تاريخي للنظريات، بل نطمح إلى تفكيك الآليات التي تحول "الفعل العادي" إلى "ظاهرة سوسيولوجية" مشبعة بالرموز والدلالات.

2. تقديم الاشكالية :

لفترة طويلة، ركزت الفلسفة والسوسيولوجيا الكلاسيكية على "البنى الكبرى" و"القضايا الميتافيزيقية المتعالية"، بينما ظلّ المعاش اليومي (Everyday Life) يُنظر إليه كفضاء للابتذال، والتكرار، والبداهة التي لا تستحق الدراسة. ومع ذلك، شهد الفكر المعاصر تحولاً جذرياً أعاد الاعتبار للتفاصيل الصغيرة، والطقوس اليومية، والفاعلين العاديين.

تكمن المشكلة في وجود تداخل وتعارض أحياناً بين الرؤية الفلسفية (التي تبحث في ماهية الوجود اليومي والاغتراب) والرؤية السوسيولوجية (التي تبحث في آليات التفاعل وإعادة إنتاج النظام الاجتماعي). هذا التداخل يطرح تحدياً منهجياً ونظرياً حول كيفية بناء "مفهوم علمي" لشيء سائل ومتغير مثل "الحياة اليومية."

بناءً على ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على السؤال المركزي : **كيف استطاعت المقاربات السوسيو-فلسفية إعادة الاعتبار لليومي بوصفه موضوعاً للعقلنة والتحليل؟** أو بمعنى أخر : **ما هي المرجعيات الفلسفية والسوسيولوجية التي أخرجت "اليومي" من دائرة الهامش والنسيان إلى مركز التحليل والنقد؟**

وذلك من خلال فحص المرجعيات النظرية التي أسست لهذا المفهوم، واستنطاق المناهج التي حاولت القبض على تفاصيله المنفلتة بين الذاتية والموضوعية.

3. الاتجاهات السوسيولوجية الحديثة: قراءة في راهنية الدراسات الميكروسوسيولوجية:

ارتبط ظهور علم الاجتماع بشكل مباشر بالثورات الكبرى في التاريخ الغربي، وتحديداً الثورتين الفرنسية والصناعية. فقد حاول المؤسسون الأوائل تقديم فهم علمي واجتماعي للتغيرات العميقة التي طرأت على المجتمع آنذاك، مما جعل من هذا العلم أداة تحليلية لمواجهة الأزمات والمشكلات الناتجة عن تلك الحقبة الانتقالية.

ارتبط نشوء علم الاجتماع تاريخياً بمعالجة الأزمات والظواهر المجتمعية الكبرى، حيث سعى لتطوير أطر تحليلية نظامية تدرس التحولات الهيكلية والمؤسسية العميقة. وقد غلبت على هذا التوجه النظرة الكلية (Macro) التي تركز على النظم والعلاقات العامة، مستبعدةً في مراحله الأولى تفاصيل الحياة اليومية للفرد وحركته الذاتية داخل المجتمع.

عند فحص المقاربات السوسيولوجية، سواء الكلاسيكية منها أو الحديثة، يبرز لنا انقسام منهجي ثنائي القطب في تحليل الظواهر الاجتماعية. يتمثل القطب الأول في التحليل الماكروسوسيولوجي (الكلي(، الذي تجسده نظريات الصراع والوظيفية؛ حيث يُنظر للفرد ككيان خاضع للهياكل والبنى الاجتماعية الكبرى. أما القطب الثاني، فهو الاتجاه الميكروسوسيولوجي (الجزئي (الذي تمثله الفينومينولوجيا، التفاعلية الرمزية، ونظرية الفعل الاجتماعي؛ إذ تركز هذه المقاربات على 'الفرد' كوحدة تحليل أساسية لفهم وتأويل الواقع. ورغم هذا التباين، يظل الاتجاهان في حالة تكامل وترابط وظيفي ومنهجي داخل البحوث السوسيولوجية المعاصرة.

في هذا الإطار، يسعى السوسيولوجي الفرنسي جورج غورفيتش إلى تنظيم التيارات النظرية السوسيولوجية وتصنيفها، متجاوزاً بذلك التضارب المعرفي حول المنطلقات الأساسية لدراسة الظواهر الاجتماعية. وقد طرح غورفيتش ثلاثة نماذج عرضية للملاحظة والبحث السوسيولوجي هي-(GURIVITVCH Georges, 1963, p11 14):

1. **المستوى الماكروسوسيولوجي (المجتمعات الكلية :(**ويشمل الوحدات الاجتماعية الشاملة التي تحقق الاكتفاء الذاتي لأعضائها، كالدول والحضارات، وتُعامل كفضاءات كلية متكاملة في بنيتها الأصلية.
2. **مستوى التجمعات الجزئية :**وهي الوحدات المكونة للمجتمعات الكلية، وتتجسد في أنساق مثل الأسرة، والطبقات الاجتماعية، والجمعيات التطوعية.
3. **المستوى الميكروسوسيولوجي (أشكال المؤانسة :(**ويركز على أنماط الروابط والعمليات التفاعلية التي تجمع الأفراد داخل الجماعة، وكيفية ارتباطهم بالكل الاجتماعي ومن خلاله".

يبرز التصنيف الثنائي بين السوسيولوجيا الماكروسكوبية والميكروسكوبية بشكل جلي لدى علماء الاجتماع الفرنسيين، استناداً إلى النماذج التصنيفية التي وضعها 'جورج غروفيتش'. وهو تقسيم لم يكن مألوفاً في بدايات السوسيولوجيا الأمريكية والبريطانية. ورغم شيوع هذا المصطلح في فرنسا، إلا أنه انحرف عن معناه الأصلي الذي قصده غروفيتش؛ مما أدى إلى توسيع آفاق الدراسات الاجتماعية التأسيسية. وبذلك، أصبحت 'الميكروسوسيولوجيا' تشير إلى دراسة الوحدات الضيقة الخاضعة للملاحظة المباشرة، كالجماعات الصغيرة (مثل

الأسرة)، وتحليل الأفعال والتفاعلات البينية، إضافة إلى رصد اتجاهات وسلوكيات الأفراد وتصوراتهم داخل المجتمعات المصغرة .(ROCHER Guy,1992, p11)

تتداخل النماذج الثلاثة التي تصنف الاتجاهات السوسيولوجية للملاحظة المنهجية فيما بينها، حيث تُفهم "الكلية" هنا بوصفها نتاجاً للتجمعات الخاصة، بينما تتشكل المجتمعات الكلية وهذه التجمعات معاً عبر شبكة من الروابط الاجتماعية. وفي هذا الصدد، يؤكد جورج غورفيتش على ضرورة تبني ملاحظة منهجية ترى استحالة الفصل بين الاتجاه "الميكروسوسيولوجي" وتصنيفات التجمعات والمجتمعات الكلية؛ بل يرى أن الانطلاق من المقاربة الميكروسوسيولوجية لدراسة الظواهر الكبرى أفضل من العكس. فالعلاقة بين النماذج الأفقية الثلاثة هي علاقة تبادلية وتكاملية غير قابلة للفصل، تعكس جوهر الواقع الاجتماعي.

4. سوسيولوجيا المعيش اليومي: كيف نشكل عالمنا كل يوم؟

تعد سوسيولوجية الحياة اليومية من أبرز الاتجاهات المعاصرة التي تسعى إلى كسر الجمود في النظرية الاجتماعية، حيث تنقل بؤرة التركيز من المؤسسات الكبرى والبنى الضخمة إلى عالم الممارسات العادية والروتينية . فهي لا تهتم فقط بما يفعله الناس، بل بـ المعاني والدلالات التي يضفونها على تفاعلاتهم البسيطة، مثل طريقة الأكل، التنقل، والتحدث، معتبرةً أن هذه "التفاهات" الظاهرية هي المختبر الحقيقي لفهم إنتاج وإعادة إنتاج النظام الاجتماعي.

تهتم سوسيولوجيا الحياة اليومية بدراسة الممارسات الإنسانية في تجلياتها المعتادة والمنظمة التي تتكرر يومياً داخل مختلف الجماعات الاجتماعية. وتتخذ من" النشاط العقلاني "وحدةً للتحليل، بما يشمله من تفاعلات صريحة وضمنية. وفي هذا الصدد، يستند التحليل إلى التمييز الذي وضعه دوركايم بين ما هو "عادي وبديهي" (الظواهر العامة) وما هو "مرضي/باتولوجي"؛ وبناءً عليه، تركز سوسيولوجيا الحياة اليومية على دراسة الأنشطة التي تندرج ضمن نطاق "المعتاد والعادي" في حياة الأفراد(DURKHEIM Emile, 1968,p56).

تتميز سوسيولوجيا الحياة اليومية عن غيرها من فروع علم الاجتماع العام بكونها لا تحصر نفسها في إطار القيم المعلنة أو إطلاق الأحكام المعيارية، بل تسعى بدلاً من ذلك إلى تقديم وصف دقيق وشامل لتفاصيل الوجود اليومي. فبينما يميل علم الاجتماع التقليدي إلى تجريد الظواهر، تجعل سوسيولوجيا اليومي من الأحداث العادية والبديهية محوراً أساسياً لتحليلاتها؛ حيث ترى فيها المسرح الحقيقي الذي تتشكل فيه الصراعات والتوترات، وتتبلور من خلاله التحولات الإيديولوجية والأزمات الاجتماعية. ومن هذا المنطلق، يبرز اليومي كإطار مثالي لفهم الدلالات الدراماتيكية للبحث السوسيولوجي، حيث تتحول حياة الفرد الشخصية إلى مرآة تعكس الأحداث الكبرى، معتبرةً أن كل فعل اجتماعي في جوهره هو دراما اجتماعية متكاملة الأركان(LAVILE D'EPINAY Christian, 1983,p16).

تتميز سوسيولوجيا الحياة اليومية عن فروع علم الاجتماع العام بكونها لا تنطلق من إصدار أحكام معيارية على القيم، بل تركز على الوصف الدقيق والمباشر لتفاصيل الوجود اليومي. فبينما تتخذ التخصصات السوسيولوجية

التقليدية من "البديهي" و"العادي" مادة أولية، يبرز "اليومي" كساحة حيوية تتشكل فيها الصراعات، التحولات الأيديولوجية، والأزمات .لذا، يعد هذا الفرع المختبر الأنسب لرصد الأبعاد "الدراماتيكية" للظواهر الاجتماعية؛ فحين تصبح حياة الفرد الشخصية مسرحاً للأحداث، فإنها تتحول بالضرورة إلى" دراما اجتماعية "تجسد المعنى الجوهري للفعل الإنساني .

تتمتع سوسيولوجيا الحياة اليومية بخصوصية منهجية تجعلها تتقاطع مع "سوسيولوجيا الفهم"، مع انفتاحها في الوقت ذاته على الموضوعية البحثية والنقد الإبستيمولوجي المميز للعلوم الإنسانية. وباعتبارها نقطة التقاء لتخصصات متنوعة كعلم النفس العيادي والأنثروبولوجيا الثقافية، تمثل هذه السوسيولوجيا رافداً أساسياً للفكر الاجتماعي المعاصر، مدعومةً بتوسع نطاقها البحثي وقيمتها الإرشادية العالية في الممارسات الميدانية للعلوم الاجتماعية.

عند تحديد الفضاء المعرفي لسوسيولوجيا الحياة اليومية، من الضروري التركيز على الأبعاد المفهومية التي تدرس الشروط الإنسانية داخل المجتمع. فهذا المجال يبحث في الأفعال والإيماءات العفوية التي تشكل الذات، والتي يمارسها الفاعلون دون وعي مسبق. لذا، تقتضي الدراسة السوسيولوجية هنا وضع الفرد ونشاطاته الاجتماعية في المركز، مع التعامل معه كوحدة متكاملة تجمع بين الأبعاد البيولوجية والنفسية والاجتماعية-الثقافية.

تتخذ سوسيولوجيا الحياة اليومية من اليومي إطاراً للملاحظة، حيث يتحول الزمن من مجرد تعاقب آلي للدقائق إلى "المعاش" .(vécu) هذا الزمن ليس مجرد وعاء لمرور الوقت، بل هو سيرورة تتأسس عبر الواقع المعاش للفرد داخل المجتمع. وبناءً على مفهوم' الظاهرة الاجتماعية الشاملة 'لمارسيل موس، تصبح الحياة اليومية هي الفضاء الذي يتشكل فيه الوقت والمكان ككيانين ناتجين عن الممارسات الاجتماعية.

5. أبرز المقاربات السوسيو-فلسفية للحياة اليومية :

1.5. النتاج المعرفي المتراكم لمدرسة فرانكفورت وتجلياته النقدية:

تأسست مدرسة فرانكفورت في مطلع القرن العشرين كاستجابة نقدية للأزمات العالمية والنزعات الاستبدادية كالنازية والستالينية، حيث سعى روادها كأدورنو وهوركهايمر وماركوز إلى مراجعة مفهوم العقلانية السائد. ويهدف مشروعهم إلى بناء "نظرية نقدية" بديلة للمناهج التقليدية، تهدف أساساً إلى تحرير الفرد عبر كشف آليات السيطرة الاجتماعية والنفسية. ولتحقيق ذلك، دمجت المدرسة بين المادية التاريخية والتحليل النفسي، محاولةً التوفيق بين التأمل الفلسفي والبحث السوسيولوجي التجريبي، مما أدى إلى خلق نموذج معرفي يربط النظرية بالواقع العملي لنقد التنظيم الاجتماعي وتطوير المجتمع بما يتوافق مع العقل والحرية (تومور بوتومور، 2004، ص44).

رأى رواد مدرسة فرانكفورت (كأدورنو وهوركهايمر) أن العقل في القرن العشرين تحول من أداة للتحرر إلى وسيلة تقنية لبسط السيطرة؛ فبينما استخدمته الأنظمة الاستبدادية لإخضاع الأفراد، وظفته المجتمعات الديمقراطية عبر المؤسسات الكبرى لتوجيه خيارات المستهلكين وتنظيم المجتمع كلياً.

تُمثل مدرسة فرانكفورت محطة نقدية فارقة في فهم تعقيدات العصر الحديث، ويبرز تيودور أدورنو كأحد روادها الذين كشفوا عن أزمة الوعي المعاصر. يرى أدورنو أن الحقيقة لم تعد تُستقى من المجموع، بل من ثنايا التجربة الفردية الحرة. لقد حذّر من تحول العقل من أداة للتحرر إلى وسيلة للهيمنة تخدم القوى المسيطرة، مما أدى إلى تآكل القدرة النقدية لدى الأفراد. هذا التراجع الفكري أنتج حالة من الاستلاب والخضوع للمؤسسات الرسمية، حيث استُبدل الوعي المشترك بثقافة استهلاكية ونماذج سلبية تعيق رفاهية الإنسان وتجمد تطوره (إيان كريب، 1999، ص284).

تتمحور الأطروحة الفكرية لهيربرت ماركيوز، كأحد رواد مدرسة فرانكفورت، حول نقد دور العقل في المجتمعات الرأسمالية الحديثة؛ فبدلاً من أن يكون العقل أداةً للتحرر والحرية كما في الفلسفة الكلاسيكية، تحول إلى" عقلانية تكنولوجية "تكرس الهيمنة والسيطرة السياسية. ويرى ماركيوز، متأثراً بالماركسية والتحليل النفسي، أن التقدم التقني لم يحرر الإنسان، بل أنتج أشكالاً جديدة من الاستغلال والاغتراب الذاتي، مما جعل الفرد خاضعاً لنظام كلي يسلب إرادته تحت غطاء التطور(علي غربي، 2007، ص195).

يبرز هيربرت ماركيوز التوجه النقدي لمدرسة فرانكفورت تجاه الرأسمالية المعاصرة، مسلطاً الضوء على هيمنة السلطة التقنية والمؤسساتية التي تفرض سيطرتها على وجود الفرد وتوجه سلوكه الاستهلاكي ووعيه لخدمة أهداف الدولة. وفي مؤلفه" العقل والثورة"، يؤصل ماركيوز للنظرية الاجتماعية الجذرية من خلال استرجاع المنهج الجدلي الهيجلي، معتبراً إياه الأداة التحليلية التي مكنت الماركسية من صياغة مشروعها الرامي إلى التغيير الجذري للمجتمع (فليب جونز، 2010، ص121).

يُعد يورغن هابرماس امتداداً للنظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت)؛ حيث ركّز فكره على توظيف **العقل النقدي** لتحليل هيمنة المؤسسات في المجتمعات الرأسمالية. سعى هابرماس إلى كشف كيفية سيطرة هذه المؤسسات والآلة الإعلامية على الوعي الفردي والجماعي، محذراً من تحوّل "الفضاء العام" إلى أداة للاستلاب والتبعية بدلاً من الحوار الحر. وينتهي مشروعه بضرورة نقد الثقافة الجماهيرية والأنظمة السياسية والاقتصادية التي تُفرغ الحياة اليومية للأفراد من حيويتها وتحولها إلى حلقة مفرغة من التوجيه والسيطرة.

تتمحور نظرية الفعل التواصلي عند "يورغن هابرماس" حول بناء تفاهم متبادل يؤسس لتعاون اجتماعي عقلاني، معتبراً أن التواصل الفعال هو نتاج لتطور تاريخي للعقلانية وتحولات المجتمع. ويرى هابرماس أن العقلانية التواصلية تواجه تحديات في المجتمع المعاصر الذي تسوده أشكال السيطرة والقمع، ولتفكيك ذلك، يربط بين المعرفة والمصلحة من خلال ثلاثة مستويات :المصلحة التقنية المرتبطة بالعلوم التجريبية والسيطرة على الطبيعة، المصلحة العملية القائمة على الفهم التأويلي والتواصل بين الأفراد، وأخيراً المصلحة التحررية التي تجسدها العلوم النقدية الساعية لتحرير الذات من سلطة الهيمنة، مؤكداً أن كل معرفة إنسانية موجهة بالضرورة بغرض أو مصلحة محددة. قدم يورغن هابرماس) الجيل الثاني) مساهمة محورية عبر التمييز بين "عالم الحياة" (الذي يضم التواصل اليومي والقيم) و"النسق" (الدولة والاقتصاد)؛ محذراً من "استعمار النسق لعالم الحياة"، أي

طغيان لغة المال والسلطة على الحوار الإنساني العفوي في الحياة اليومية (أفاية محمد نور الدين، 1998، ص123).

تؤكد مدرسة فرانكفورت النقدية أن جودة الحياة اليومية مرتبطة بمدى مقاومة هيمنة النظام الرأسمالي وأجهزته الضبطية؛ فالتوسع في السيطرة يؤدي إلى تزييف دور العقل وتهميش فاعلية الفرد، مما يسبب خللاً في البناء الاجتماعي يعيق تشكل خطاب حواري سليم داخل الواقع المعيش للمجتمعات الحديثة.

2.5.المقاربة التفاعلية الرمزية : دراسة في سوسيولوجيا العمل اليومي: شهد علم الاجتماع في الخمسينيات تحولاً نحو المقاربات الميكروسوسيولوجية التي ركزت على الوحدات الصغرى والتفاعلات اليومية للأفراد، وتجسد هذا التطور في بروز التفاعلية الرمزية ضمن الجيل الثاني لـ مدرسة شيكاغو .وقد استند رواد هذا الاتجاه، أمثال "هاربرت بلومر" و"إيفريت هيوز"، إلى الإرث المعرفي لـ "جورج هربرت ميد" و"روبرت بارك" لدراسة بناء الشخصية والعلاقات البينية. ومع ظهور جيل جديد بقيادة "إرفينغ غوفمان" و"هاوارد بيكر"، ترسخت هذه المقاربة كاتجاه حديث يرى أن النظام الاجتماعي، رغم معياريته، يتشكل من خلال **ذاتية الأفراد** وسيرورات التفاعل التي تبني هوياتهم المجتمعية.

تعتبر هذه المقاربة السوسيولوجية الحياة الاجتماعية نظاماً قائماً على التفاعل الرمزي بين الأفراد؛ فهي لا تركز على الظواهر المادية بذاتها، بل على المعاني والدلالات التي يضفيها الفاعلون على الرموز والإشارات. كما تدرس كيفية صياغة هذه التفسيرات وتأثيرها المباشر في توجيه السلوك الإنساني وتشكيل العلاقات داخل الجماعة (فليب جونز، 2010، ص153).

يرى رواد التفاعلية الرمزية أن المجتمع ليس هيكلاً ثابتاً، بل هو سيرورة تفاعلية مستمرة وديناميكية بين الأفراد؛ حيث يتشكل الواقع الاجتماعي من خلال تبادل التأثير اليومي بين الذات والجماعة. وبناءً عليه، فإن الفرد هو الصانع الحقيقي للقيم والضوابط المجتمعية، مما يجعل التركيز البحثي ينصبُّ على دراسة سلوك الفرد وأنماط تواصله مع ذاته ومع المؤسسات المحيطة به، باعتباره الوحدة الأساسية المكونة للبناء الاجتماعي.

تتلخص التفاعلية الرمزية عند هيربرت بلومر في ثلاث ركائز :تبدأ بتركيز الأفراد على المعاني التي يضفونها على الأشياء في ممارساتهم، وهي معاني ناتجة أساساً عن التفاعل الاجتماعي المستمر، وتتميز بكونها ديناميكية غير ثابتة، حيث يعيد الأفراد تشكيلها وتعديلها عبر عملية التأويل خلال تجاربهم اليومية (إيان كريب، 1999، ص119).

يرى السوسيولوجي هيربرت ميد أن اللغة هي الحجر الأساس في تشكيل الذات والوعي بالفردانية، فهي بمثابة "مرآة" تعكس نظرة المجتمع للفرد. ومن خلال الرموز اللغوية والمعاني المشتركة المتولدة عن الممارسات اليومية، يتحقق التفاعل الاجتماعي؛ حيث يتبادل الأفراد الإشارات والرموز لتحديد ماهية الأشياء، مما يساهم في بناء الشخصية وتطوير الوعي الذاتي ضمن سيرورة التواصل المستمر(.MEAD George Herbert, 2006,p42)

تُعد التفاعلية الرمزية في سياقها الأمريكي ركيزة أساسية في التحليل الميكروسوسيولوجي، ويبرز إرفينق غوفمان كأحد أهم روادها الذين أثروا هذا المجال. من خلال مؤلفه الشهير "عرض الذات في الحياة اليومية"، صاغ

غوفمان" النموذج المسرحي "لتفسير التفاعلات الاجتماعية؛ حيث شبّه الواقع بخشبة المسرح التي يؤدي عليها الأفراد أدواراً متعددة تهدف إلى إدارة الانطباعات وكسب التقدير. يركز هذا الطرح على أن السلوك الإنساني هو نتاج مواقف يومية يحاول فيها الفرد إظهار جانب إيجابي ومثالي أمام الآخرين، مع وجود جانب خفي لهذا السلوك، مما يجعل من عملية التفاعل والاتصال اليومي المنطلق الأساسي لفهم بنية المجتمع وعلاقاته (إيان كريب، 1999،ص120).

3.5. فلسفة المعاش: كيف تعيد الفينومينولوجيا صياغة علاقتنا بالواقع؟: تأسست الفينومينولوجيا (الظاهراتية) في مطلع القرن العشرين على يد الفيلسوف إيدموند هوسرل، الذي سعى لتحويل الفلسفة إلى علم نسقي دقيق يدرس الواقع من خلال الظواهر وتجارب الوعي المعاش. وقد أرست مؤلفاته، لاسيما "بحوث منطقية"، قطيعة مع النزعات النفسية والميتافيزيقية، مقدمةً هذا التيار كمنهج تحليلي يفسر علاقة الإنسان بالعالم الاجتماعي، وبديلاً معرفياً يتجاوز قصور العلوم الطبيعية في فهم الذات والوعي.

تقوم الفينومينولوجيا كمنهج على الوصف المباشر للظاهرة في كليتها، متجاوزةً بذلك المناهج الطبيعية والنزعات المثالية والوضعية التي سادت القرن التاسع عشر. فهي لا تكتفي بالملاحظة الخارجية السطحية، بل تسعى للنفاذ إلى البنيات الشعورية الداخلية وربط المعرفة بالذات الإنسانية. وبحسب "ألفرد شوتز"، يركز هذا المنهج على فهم عالم الحياة اليومية وتصورات الأفراد العفوية، حيث يعيد الباحث تنظيم هذه الخبرات الإنسانية وتفسيرها بناءً على الوعي والقصدية، بدلاً من فرض رؤى مسبقة لا تعبر عن حقيقة المبحوثين (رابح كعباش،2007، ص168).

تُعد الفينومينولوجيا منهجاً يركز على ماهية الوعي الإنساني ودوره في تشكيل ظواهر المجتمع، حيث تنظر للعالم الخارجي كمنتج لهذا الوعي لا يكتسب معناه وقيمته إلا من خلاله. لذا، يتوجب على الباحث الاجتماعي فحص كيفية بناء الأفراد لعالمهم الخاص، مع ضرورة التحرر من التفسيرات البديهية والمعارف العادية التي قد تشكل عائقاً منهجياً أمام الفهم العميق لأصل الظواهر.

ترتكز الفينومينولوجيا عند "هوسرل" على دراسة الظواهر الاجتماعية بوصفها نتاجاً للوعي والإدراك المباشر، بعيداً عن الفرضيات المسبقة أو النظريات التجريدية. ويهدف هذا المنهج إلى تحليل "عالم الحياة اليومية" من خلال وصف الأشياء كما تتبدى في الوعي الذاتي، معتمداً على أدوات كتحليل اللغة والمحادثات لفهم ماهية التجربة الإنسانية. ويشترط هذا المسعى البحثي ضرورة تحلي الباحث بالموضوعية عبر تعليق الأحكام المسبقة، والتركيز الحصري على "الوعي بالظاهرة" بدلاً من وجودها المادي الخارجي؛ فالمعنى لا ينبع من الشيء بذاته، بل من كيفية توجيه الوعي وتفسيره لدوافع وتفاصيل المعيش اليومي (إيان كريب، 1999، ص135).

تعتمد المنهجية الفينومينولوجية على الخبرة الذاتية والوعي الإنساني كركيزة أساسية لفهم وتأويل الظواهر الاجتماعية، متميزةً بذلك عن مناهج العلوم الطبيعية. ويرى "هوسرل" أن إدراك عالم الحياة اليومية يتطلب الغوص في الواقع المعاش واستنطاق المعاني التي يضفيها الأفراد على تجاربهم، حيث يلعب الحدس والتأمل دور

الرابط بين الذات وعالمها. وبناءً على ذلك، يصبح العالم الاجتماعي نتاجاً لتفاعل الوعي مع الأنساق الثقافية والقيم، مما يجعل البحث الفينومينولوجي يسعى لاستكشاف الحقيقة من خلال ما يدركه الإنسان بوعيه الذاتي وتجاربه المشتركة مع الآخرين (إبراهيم عيسى عثمان، 2008، ص247).

في ظل التطور الذي شهدته المقاربات السوسيولوجية والفلسفية المعاصرة، تبرز الفينومينولوجيا كذروة لما آلت إليه العلوم الاجتماعية من نضج تنظيري. وفي هذا السياق، أسس السوسيولوجي ألفرد شوتز اتجاهاً معرفياً جديداً عُرف بـ" علم الاجتماع الفينومينولوجي"، والذي شكّل قطيعة مع النظريات الكلاسيكية من خلال إرساء القواعد التالية (أحمد زايد، 1981، ص393):

1. المرجعية الفلسفية والذاتية المشتركة: يستند هذا الاتجاه في جوهره إلى "فلسفة الظواهر" التي أسسها إدموند هوسرل .وقد عمل شوتز على تطويع هذه الفلسفة سوسيولوجياً عبر التركيز على مفهوم الذاتية المشتركة (Intersubjectivity)داخل "الاتجاه الطبيعي" للحياة؛ مما جعلها أداة تحليلية فعالة لفهم الظواهر الاجتماعية من منظور ذوات الفاعلين.

2. عالم الحياة اليومية كبنية معرفية: تتمحور المادة التحليلية للفينومينولوجيا حول**" عالم الحياة اليومية "**وما يكتنفه من خبرات معطاة سلفاً. لا يكتفي هذا العلم بدراسة محتوى المعارف المتوارثة اجتماعياً فحسب، بل يمتد بحثه ليشمل:

- العمليات الديناميكية التي يتم من خلالها **تكوين ونقل** هذه المعارف.
- آليات استقبال هذه التركيبات المعرفية من قِبل الأفراد.
- دور الأبنية التنظيمية في صياغة وتوجيه هذه العمليات.

3. جدلية الفاعل والواقع الاجتماعي: يمنح علم الاجتماع الفينومينولوجي الفرد دوراً مركزياً باعتباره **مبادراً** في الفعل الاجتماعي وليس مجرد مستجيب له. فالفاعل يعيش علاقة جدلية مع واقعه؛ فهو **الخالق** لهذا الواقع من خلال معانيه، وهو في الوقت ذاته **نتاج** للظروف الاجتماعية المحيطة به.

4. الفردية الميثودولوجية والنسبية : يقوم هذا المنظور على ركيزتين أساسيتين:

- **النزعة الفردية المنهجية :**حيث يُعتبر الفرد هو وحدة التحليل الأساسية.
- **الاتجاه النسبي :**فمفاهيم مثل "الصدق" و"الرشد" ليست مطلقة، بل تتحدد وفق **المعاني** التي يضفيها الفرد على مواقفه.

4.5. المقاربة الإثنوميثودولوجية: من التنظير السوسيولوجي إلى ممارسة الحياة اليومية:

تعد الإثنوميثودولوجيا مقاربة سوسيولوجية راديكالية أسسها عالم الاجتماع الأمريكي هارولد جارفينكل في منتصف القرن العشرين، وتحديداً في كتابه "دراسات في الإثنوميثودولوجيا" (1967 .(تهدف هذه المقاربة إلى دراسة الطرق والأساليب التي يستخدمها الأفراد لفهم وإنتاج النظام الاجتماعي وإضفاء المعنى على حياتهم اليومية .وبالرغم من استناد جارفينكل إلى أفكار ألفرد شوتز والفينومينولوجيا في التركيز على "العالم المعيش"، إلا أنه طور مساراً مستقلاً

يتجاوز النظريات الكلاسيكية، ممهداً الطريق لظهور تحليل الخطاب والتفاعلات الاجتماعية كأدوات منهجية لفهم العلاقة بين اللغة والممارسة الاجتماعية.

تُركز الإثنوميثودولوجيا كأحد الاتجاهات السوسيولوجية الحديثة على دراسة الفعل الاجتماعي اليومي والروتيني لدى عامة الناس، بهدف فهم المعاني والدوافع الذاتية التي يمنحونها لأفعالهم. وبدلاً من رؤية الفرد ككائن خاضع للنظم والمؤسسات —كما تصوره النظريات الكلاسيكية كالوظيفية والماركسية— تعتبره هذه المقاربة فاعلاً عاقلاً ومختاراً يمتلك إرادة حرة تمكنه من تشكيل واقعه الاجتماعي وبناء تفاعلاته في الفضاء العام بوعي ودراية، مما يجعل من النظام الاجتماعي نتاجاً لأداء الأفراد الإرادي وليس مجرد انعكاس لضغوط خارجية أو قوالب جاهزة (معن خليل عمر، 2005، ص265).

تعتبر الإثنوميثودولوجيا، امتداداً للفينومينولوجيا، أن النظام الاجتماعي ليس كياناً ثابتاً بل هو بناء مستمر يتشكل عبر جهود الأفراد وتفاعلاتهم اللحظية. فبينما يرى "ألفرد شوتز" أن استقرار المجتمع (كالفصل الدراسي) يقوم على "معرفة مشتركة" مسبقة، يذهب "هارولد جارفينكل" إلى أن هذا النظام هو نتيجة" تآمر ضمني" وتفاعل إجرائي؛ حيث يبذل الأفراد جهوداً واعية لتمثيل أدوارهم (كطالب أو أستاذ) لإعطاء انطباع بوجود نظام مستقر، مما يجعل التنظيم الاجتماعي مجرد نتاج متجدد لكل عملية تواصل(إيان كريب، 1999،ص140).

تُركز المقاربة الإثنوميثودولوجية على دراسة الواقع الروتيني والحياة اليومية بمختلف أحداثها العادية وغير العادية كظواهر اجتماعية تستحق البحث التجريبي. وينطلق هذا الاتجاه من فكرة أن الأفراد يمتثلون للقواعد الاجتماعية في سلوكياتهم المتكررة دون القدرة على تفسيرها أو وعي آليات اشتغالها، نظراً لانغماسهم الكلي في تفاصيل حياتهم اليومية التي يعتبرونها بديهية.

يرى جارفينكل أن الأنشطة اليومية للأفراد تحكمها قوانين ضمنية غير مكتوبة تعتمد على معانٍ مشتركة وتوقعات متبادلة، ورغم افتقار هذه القوانين للدقة والنصوص الصارمة، إلا أنها تضمن التجانس والتفاهم الضمني في التفاعلات الاجتماعية. ويظهر هذا التوافق من خلال استخدام الأفراد الدائم لعبارات ربط استنتاجية (مثل: "لذلك"، "وعليه")، والتي تعكس رغبتهم في تأكيد الفهم المشترك والترابط المنطقي لمجريات حياتهم اليومية (رابح كعباش،2007 ،ص214).

تؤكد الإثنوميثودولوجيا، بزعامة "هارولد جارفينكل"، أن الثقة المتبادلة والفهم المشترك هما ركيزة التفاعل الاجتماعي؛ حيث يميل الأفراد تلقائياً إلى رفض أي خرق للقواعد الروتينية المعتادة. ومن خلال "تجارب الخرق"، يسعى جارفينكل لاستكشاف طبيعة الفرد الحقيقية بعيداً عن الضغوط الخارجية، باحثاً في كيفية اعتمادنا على أنماط مسبقة لتنظيم حياتنا اليومية. وتهدف هذه المقاربة في جوهرها إلى مساءلة المسلمات والبديهيات التي تحكم واقعنا الروتيني، لفهم كيفية بناء النظام الاجتماعي وإمكانية تعديله.

يستعرض السوسيولوجي هارولد جارفينكل المرتكزات الإبستمولوجية الجوهرية التي تؤسس لمنهج الإثنوميثودولوجيا، والتي يمكن حصر أبرز نقاطها فيما يلي (عبد الله محمد عبد الرحمن،2006 ،ص249):

- **الأخلاق كأساس للنظام :**يُنظر للنظام الاجتماعي كبناء أخلاقي يرتكز على منظومة من القيم والمعايير، ويُعتبر هذا البعد الأخلاقي الجوهر الحقيقي لاستقرار المجتمع ومحوراً رئيساً للدراسات السوسيولوجية.
- **المشاركة وصناعة الواقع :**يستمد النظام الاجتماعي شرعيته من قبول الأفراد وانخراطهم اليومي في الأنشطة المختلفة؛ فالتفاعل المستمر هو الذي يُنتج الحقيقة الاجتماعية ويمنحها واقعيتها.
- **الارتباط البنيوي بالأخلاق :**تُفسَّر كافة التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية بناءً على علاقتها بالمنظومة الأخلاقية، حيث تمثل هذه الأخيرة المرجعية الأساسية لفهم الظواهر.
- **التوجيه السلوكي :**يتطلب فهم الأنشطة اليومية للأفراد دراسة كيفية توجيه أفعالهم بما يتوافق مع مقتضيات النظام الأخلاقي العام.
- **العقلانية والتنظيم الذاتي :**يرتبط تفسير السلوك البشري بـ التعقل؛ مما يجعل البناءات الاجتماعية قادرة على تنظيم نفسها تلقائياً من خلال المواقف التفاعلية التي تتسم بالطابع العقلاني.
- **الديناميكية والتغير :**يتصف النظامان الاجتماعي والأخلاقي بالمرونة والتغير المستمر، وهو نتاج مباشر لعمليات التفاعل الاجتماعي المتجددة والحيوية.
- **مركزية العملية التنظيمية :تُعد الآليات التنظيمية** الركيزة الجوهرية للواقع الاجتماعي، وهي النقطة التي سعت النظريات السوسيولوجية (كلاسيكية ومعاصرة) لتوضيحها.
- **منهجية التعقل اليومي :**تتشكل عقلانية الأفعال من عمليات دقيقة تشمل التصنيف، المقارنة، والتحليل؛ حيث يستخدم الأفراد إجراءات وآليات محددة لفهم وإدارة نشاطهم الحياتي اليومي .

6. خاتمة

تنبثق المساهمة في سوسيولوجيا الحياة اليومية من ضرورة العودة إلى المقاربات الميكروسوسيولوجية التي أولت اهتماماً بالغاً بالوقائع الاجتماعية الجزئية منذ بدايات تشكل علم الاجتماع كعلم قائم بذاته؛ حيث سعى هذا الحقل إلى فهم وتأويل الظواهر الحديثة في المجتمع الأوروبي من خلال التركيز على الفرد ووحدات التحليل الصغرى باعتبارها الركيزة الأساسية لفهم التفاعلات المجتمعية. وتتجلى إشكالية الحياة اليومية في كونها مفهماً تشكل عند تقاطع الفلسفة والسوسيولوجيا، بدءاً من 'عالم الحياة' عند إدموند هوسرل الذي اعتبره فضاءً للتبادل الثقافي والتفاعل، وصولاً إلى رؤية شوتز التي تعتبر الواقع المعاش صيرورة معقدة يبني من خلالها الأفراد تاريخهم الخاص. إن سوسيولوجيا الحياة اليومية ليست مجرد فرع ثانوي، بل هي مقاربة تهدف لوصف التواجد اليومي ورصد ما يحدث بشكل بديهي من صراعات وتحولات وأزمات، وهي بذلك تقف في مفترق طرق بين الأنثروبولوجيا الثقافية وعلم النفس العيادي، معلنةً عن نفسها كظاهرة اجتماعية شاملة —بمفهوم مارسيل موس— يعاد فيها إنتاج الزمان والفضاء الاجتماعي عبر الممارسات اليومية الواعية وغير التراكمية. وتتجلى الإشكالية السوسيولوجية هنا في كون 'الحياة اليومية' تمثل فضاءً صراعياً وديناميكياً؛ فهي ليست مجرد روتين رتيب، بل هي نسق من التفاعلات المشبعة بالرموز والعواطف التي تقع خارج الصيرورة التاريخانية التراكمية، مما يمنحها خصوصية في الدراسة. وبناءً على رؤى سوسيولوجية معمقة (لوفيفر وموس)، يتحول 'الواقع المعاش' من مجرد أحداث عابرة إلى ظاهرة اجتماعية شاملة، حيث يُعاد إنتاج الزمن والفضاء الاجتماعي عبر ممارسات يومية واعية.

7. قائمة المراجع:

1.DURKHEIM Emile (1968) , *Les règles de la méthode sociologique* , Paris , PUF.

2.GURIVITCH Georges (1963), *La vocation actuelle de la sociologie* , Paris ,PUF, 3éme ED.

3.LALIVE D'EPINAY Christian (1983), *« la vie quotidienne : Essai d'un concept sociologique et anthropologique »* , in Cahiers internationaux de sociologie , nouvelle série , Vol 74, Janvier-Juin.

4.MEAD George Herbert (2006) , *L'Esprit, le soi et la société*, (édition originale, 1934) traduction et introduction de Daniel Cefaï et Louis Quéré, Presses universitaires de France, coll. « Le lien social », Paris .

5.ROCHER Guy (1992), *Introduction à la sociologie générale . L'Action* sociale , Canada , Editions Hurtubise.

6. أفاية محمد نور الدين (1998)،*الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة*، نموذج هابرماس، ط2 ،بيروت: أفريقيا الشرق.

7. أحمد زايد (1981)، *علم الإجتماع : النظريات الكبرى و النقدية* ، مصر ، دار المعارف ، ط1.

8. إيان كريب (1999) ، *النظرية الإجتماعية– من بارسونز إلى هابرماس* ، ترجمة : محمد حسين غلوم ، عالم المعرفة .

9. إبراهيم عيسى عثمان (2008) ، *النظرية المعاصرة في علم الإجتماع* ، الأردن ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط1.

10. توم بوتومور (2004) ، *مدرسة فرانكفورت* ، ترجمة سعد هجرس ، طرابلس ، دار أويا للطباعة و النشر و التوزيع و التنمية الثقافية ، الطبعة الثانية .

11. علي غربي (2007) ، *علم الجتماع والثنائيات النظرية(التقليدية-المحدثة)*، الجزائر ، جامعة منتوري قسنطينة .

12. عبد الله محمد عبد الرحمن (2006)، *النظرية في علم الإجتماع : النظرية السوسيولوجية المعاصرة* ، الجزء الثاني ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية .

13. معن خليل عمر (2005) ، *نظريات معاصرة في علم الإجتماع* ، الأردن ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط2 .

14. فليب جونز (2010) ، *النظرية الإجتماعبة و الممارسة البحثية* ، ترجمة ياسر الخواجة ، القاهرة ، مصر العربية للنشرو التوزيع .